دراسات أدبية

رسائل البلغاء

— ٤ —

بقلم الاستاذ محمد شبث الجباوي

تعريف :

تجامع الكتاب هو العلامة محمد كرد علي السوري صاحب امراء البيان وخطط الشام وغيرهما من المؤلفات ، ورئيس المجمع العلمي العربي بالشام وعضو مجمع فؤاد الاول بمصر وقد كان فيما مضى وزيراً للمعارف كما انشأ مجلة المقتبس فهو علم من اعلام الادب والتأريخ في الشرق العربي ، وتشهد له تصانيفه بسعة الاطلاع وطول الباع حيث نالت اعجاب الباحثين والمثقفين في المشرق والمغرب .

وصف الكتاب :

والكتاب عدة رسائل لاشهر البلغاء منها : اليتيمة والادب الصغير والادب الكبير وكلاهما لابن المقفع ، ورسائل اخرى لعبد الحميد الكاتب ورسالة ابن القارح وهو ابو حسن علي بن منصور الحلبي وملقى السبيل لابي العلاء المعري وغيرها ومعظم هذه الرسائل كانت مفقودة اوغير معروفة فجاء المصنف والف منها كتابا ثميناً يعد مرجعاً مهما وان كان صغير الحجم والرسائل ليست كلها من نشر المؤلف فبعضها يعود فضل نشرها وازاحة الستار عنها الى غيره من الباحثين كالشيخ طاهر الجزائري الذي نشر رسالة « الادب الصغير » وبين عثوره عليها وعلى رسائل غيرها عند اعيان بعلبك .

اما الغاية من الكتاب فتنمية الذوق الادبي وتبسيط مذاهب الكتابة عند ائمة المنشئين كما ينسج على منوالهم ويقتدى باساليبهم فضلا عما جاء فيه من العبر الاخلاقية التي سيتأثر بها القارئ حتما . والكتاب بعد ذلك مؤلف تاريخي اجتماعي يمثل حلقة من حلقات الحضارة العربية وفصلا بارزاً من فصولها .

ولانجد للمؤلف بحثاً خاصا به ولا مقالا ندبجه يراعه كي نحكم على اسلوبه ونتبع مذهبه ، غير اننا نلاحظ في المقدمه انه يكتب بجمل طويلة ، كما ندرك مبلغ ثقافته وسعة اطلاعه من الترجمة التي وضعها لابن المقفع فقد ناقش قول البعض : انه كان زنديقاً مارقا من الدين حيث دفع تلك الشبهة بادلة علمية وبراهين منطقية كما نفى عنه انه عارض القرآن الكريم .

والكتاب ثمين لانه يضيف الى المكتبة العربية ثروة كبيرة من المعلومات والمادة اللغوية والحكم والامثال لفحول الادباء وزعماء الكتاب فلا يستغني عن الاستفادة منه متأدب ولااديب كما لا يستغني عنه من ضاعت عليه مقومات الرجولة ومقاييس الشخصية .

وقد ترجم المؤلف لعبد الحميد الكاتب وهو بطل من ابطال الكتابة ونموذج من نماذج العبقرية فبين أثره في الدولة الاموية ومكانته الاجتماعية ووفاته . ولاشك ان ابن المقفع وعبدالحميد هما اعظم كاتبين بل انهما عبقريان خالدان يشهد بذلك الانتاج الخصيب الذي خلفاه .

ورسالة الادب الصغير ليست فوائدها مقتصرة على الناحيتين الادبية والاخلاقية فحسب وانما تتناول النواحي الاجتماعية والقلمية ايضاً .

فكما نجد ابن المقفع أديباً وعالماً كذلك نجده مدرسا نال قسطا وافراً من الثقافة العالية فهضمها بذكائه النادر وتجاربه العميقة واخرجها شرابا سائغا يتضمن اطايب العلوم والاداب فرسائله ومؤلفاته تمثل حياته ومحيطه وماجد فيها من الدواعي والاسباب ، فقد نلمح في اسلوب ابن المقفع وطريقته الكتابية تأثره بالحضارة الفارسية مع الحضارة العربية كما نلمس كيف هضم الحضارتين هضما سائغا واخرج لنا تراثا جديداً يعبر عن طراز الحياة في العصر العباسي اصدق تعبير . ومن ميزات ابن المقفع شغفه بآثار من تقدمه واحترامه للاسلاف الصالحين لما كانوا عليه من علم وفن وادب حتى دفعه الحب الى التنقيب عن آثارهم والسير على نهجهم والتخلق بآدابهم مما نجده واضحا بصورة جلية في (الدرة اليتيمة) التي نلحظ فيها بحثا طريفا في الصديق وآدابه . اما اليتيمة الثانية « وهي المشهورة

فقد اثبت فيها فصولا تتصل باحوال الولاة ومعاملتهم للرعية كما اثبت فيها حكما نثرية ايضا .

اساليب الكتاب :

« ١ » ابن المقفع : يتميز اسلوبه بمقدمة او ديباجة مشرقة يستهل بها كلامه ويتكون اسلوبه من فقرات طويلة قد تؤدي الى غموض في المعنى لاسيما اذا كان فيها شيء من الالتواء وهو غير ولوع بالفنون البديعية كالسجع والجناس الا ماجاء عفواً من دون قصد . ومن عادته انه يعلل ما يقول وذلك دليل على سعة ثقافته وبرهان على نضج عقله وحدة ذكائه ، وتبدو على كتابته المسحة الدينية كما تبدو على معاصريه ، اما تقليبه للمعاني وبراعته الفنية فتظهر في تحبيبه للمكروه وتبغيضه للمقبول حينما يروى

« ٢ » عبد الحميد الكاتب : اسلوبه ذو فقرات قصيرة منظمة لا سجع ولا تكلف واضحة القصد بليغة المعنى ، يبتعد عن المفاضلة في الكلام وعن ايراد الكلمات الغريبة ولذا تجد كل كلمة قد وقعت في محلها من دون ان تزاحمها لفظة اخرى ، كما يتجنب المداورة والالتواء فينساب اسلوبه سلسا كالماء الزلال في جريانه وعذوبته ، ويبدو عبد الحميد متأثراً بالثقافة الدينية كزميله ابن المقفع ، وتدلنا حكمه البارعة ومواعظه النافعة وآراؤه الناضجة ولا سيما في رسالته الى ولي العهد على درجة ثقافته العلمية كما تدل على مبلغ استفادته من تجارب الزمان وعبر الايام ، ولذا تعتبر رسالته هذه درساً عالية ومواد ثمينة سواء في السياسة والحرب ام في الاجتماع والاخلاق . وفي الكتاب رسائل اخرى لعبد الحميد ، منها رسالة في تحميد ابي العلاء الحروري واخرى تحميد في فتح وغيرها .

« ٣ » اما الرسالة العذراء في موازين البلاغة وادوات الكتابة لابي اليسر ابراهيم بن المدبر فقد جمع فيها اشتات العلوم البلاغية واجاد في تعريف البلاغة ، وتكاد آراؤه التي ارسلها الى احد معارفيه بشكل نصيحة تطابق ما يتوخاه النابهون من المعاصرين والقدماء في دراسة البلاغة . ويلاحظ ان الكاتب يميل الى السجع ولكنه لا يلح فيه ، اما اسلوبه فمكون من جمل قصيرة وفقرات مفهومة ، سلس العبارة عذب اللفظ منسجم المعنى وقد يتضمن احيانا بعض الجمل الدعائية او المعترضة مثل : « ايدك الله » و « عافاك الله » . . . وفيما ذكره الكاتب واستطرد اليه في رسالته ، نستدل على سعة اطلاعه ومدى ثقافته في ميداني العلم والادب .

« ٤ » رسالة ابن القارح لابي العلاء المعري : وهي رسالة بعث بها الى ابي العلاء المعري ، تتضمن كثيراً من زلات المشهورين ، اما جوابها فكان رسالة الغفران الشهيرة .

« ٥ » وقبل ان اختم البحث لابد ان انوه برسالة اخرى هي : « كتاب العرب او الرد على الشعوبية » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة من اهل القرن الخامس التي تضمنت رده على من ذم العرب وفضل عليهم الاعاجم . ومن الطرائف بحثه في العرب العاربة والعرب المتعربة وانساب العرب .

إذاً فالكتاب ثمين لا يمكن ان يستغني عنه مؤرخ ولا اديب ، فهو كما ذكرنا آنفا مرجع جم الفوائد وان كان في حجم صغير ؟

الموصل : محمد شيت الحياوي

الى حضرات المؤلفين الافاضل

في العراق وخارجه

لقد اعددنا في بناية المحاكم الجديدة في الموصل مكتبة نظمناها تنظيما يتلاءم مع ماللقضاء من مكانة رفيعة في النفوس حيث ضمت مختلف الاسفار والكتب والقوانين والانظمة ؛ وهي لاتزال بحاجة الى ماانتجته قرائح العباقرة من المؤلفين من مختلف الكتب والقوانين .

ولذلك فانا ندعو هؤلا المؤلفين الافاضل بان يساهموا في هذا المشروع وذلك في التكرم بارسال ما يرونه مناسبا من مؤلفاتهم الى رئاسة المحكمة لضمها الى ما حوته هذه المكتبة من كتب وقوانين وبذلك يكونون قد اسدوا الى القضاء خدمة جليلة نذكرها لهم مقرونة بالثناء على الدوام

رئاسة محكمة استئناف الموصل